

مفاهيم القرآن

(618) في حين أن " الشريعة " تعني مجموعة التعاليم الأخلاقية والاجتماعية التي يمكن أن ينالها التغيير مع مرور الزمن وتطور المجتمعات وتكامل الأمم، ولذلك لا يضير استعمال هذه اللفظة في صورة الجمع فيقال "شرائع" وقد صرح القرآن بتعدد الشريعة. فهو رغم تصريحه بوحدة الدين - كما مر في الآية السابقة - يخبر عن وجود شريعة لكل أُمَّة ويكشف بذلك عن تعدد الشريعة، إذ يقول: (لِكُلِّ دِينٍ شَرْعٌ) وَمِنْهُمْ جَايِلٌ (1) وعلى هذا فإن البشرية دُعيت في الحقيقة إلى دين واحد وهو الإسلام الذي كان متحد الأصول في كل الأدوار والأزمنة، وكانت الشرائع في كل زمن وطرف طريقاً للوصول إلى الدين الواحد ولم تكن الشرائع إلا طرقاً للأمم والأقوام، لكل قوم حسب مقتضيات عصره ومدى احتياجه. وأمّا الملاّة، فهي بمعنى السنن التي بها تتقوّم الحياة البشرية وتستقيم، تلك السنن التي أودع في مفهومها "الأخذ والاعتباس من الغير". ولذلك يضيف القرآن الكريم هذه العبارة - لدى استعمالها - إلى الرسول والأقوام، إذ يقول - مثلاً - : (بَلِّغْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا)، (2) (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)، (3) وعلى هذا تكون الملاّة والشريعة متحدتين معنى ومفاداً، مع فارق واحد، هو _____ 1 . المائدة: 48. 2 . البقرة: 135. 3 . يوسف: 37.